بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الطباعة:27 ربيع أول 1434 هجري خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق 2013/02/08م

بدء الخلق – الحلقة الرابعة بعنوان (النفس والفجور والتقوى)

النفس باعث وحكم

عند إجتماع مجموعة من البواعث لنفس الحاجة، تعرض هذه الحاجة مع بواعثها مع خطط العمل الذي يقترحها ذكاء الإنسان على النفس، وعلى النفس أن تنظر لهذه الحاجة وتتفحص بواعثها وتقرر لأي باعث تستجيب وعلى أي طريقة تسير وكل هـــذا بحســـب ميزان الفجور والتقوى الذي إستودعهما إياها عز وجل.

ميزان الفجور والتقوى في الإنسان

النفس هي محط التكليف في الإنسان، وفيها ميزان الفجور والتقوى، يقول عز وجل (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس٩١: ٧–٨)، وبمراجعة مجموعـــة من التفاسير لهاتين الآيتين نجد تنوع وأحياناً تضارب في فهمهما، فمنهم من قال أن المقصود بالنفس هي نفس آدم وقيل كل ذرية آدم؛ وقيل كل النفوس سواءً كانت لإنس أو جـــن، وقيل كل نفس منفوسة فشمل بهذا نفوس الدواب بالإضافة لنفوس الإنس والجن، وقيـــل هي نفس سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وقيل المقصود بالنفس جسد الإنسان المادي،

وقيل هي الذرة النورانية التي تقبع في صدر جسد الإنسان. وبخصوص التسوية؛ فقد قال من زعم أن النفس هي الجسد، قال أن التسوية هي أن جعل الله لهذا الجسد صفاته كالسمع والبصر وغيرها؛ في حين ذكر آخرون أن التسوية هي الفطرة القويمة السليمة التي خلَقنا الله عليها، وقيل سواها بمعنى خلقها وأنشأها، وقيل سواها يعني أعطاها المخيلة والقدرة على التفكير. وفي الإلهام قال البعض أن الله قد بين للنفس وعلمها كيفية التمييز بين الخير والشر، وقيل علمها أن الطاعة حسنة وأن المعصية قبيحة، وقال غيرهم الإلهام هو تمكين النفس من إتيان الخير أو الشر، وقيل أن الله قد وضع في النفس خيرها وشرها بمعنى أن الخير والشر هما صفات لازمة في الإنسان من الخلق، وقيل أن الله قد خلق التقوى في النفس المؤمنة وخلق الفجور في النفس الكافرة، وقيل ألهمها يعني ألزمها وقيل يعني وفقها، وقيل بل جعل لها قوة يصح معها إكتساب الفجور أو إكتساب التقوى. فكما نرى هناك إختلافات بين المفسرين تصل حد التضارب والتعارض في شرح معنى (النفس) و (التسوية) و (الإلهام)، وهذه الخلافات ترجعنا للخلافات القائمة بين العلماء بين (الجبر) و (الخيار)، فما هو السبيل للفهم الصحيح لهذه المصطلحات؟ وكيف لقلوبنا أن تطمئن أنها وصلت للمعنى الصحيح؟

النفس والجسد والروح

النفس تختلف عن الجسد وتختلف عن الروح، فأنت يعني (نفسك)، والنفس هي ذرة نورانية لها سمع ثاقب ولها نهاية هي القلب العاقل فيها وهي التي تتدبر آيات القرآن الكريم وآلاء الله العظيم، والنفس تجلس على قلب الجسد الذي يضخ فيه الدم أي في صدره، وتُقبض هذه النفس عند النوم وترجع للجسد عند الإستيقاظ، وتسكن النفس في ظهور الأباء حتى ياتي الوقت المناسب فياتي ملك يخرجها من ظهر الأب –ولو كان ميتاً–

وينفخها في الجنين وهو في رحم أمه عندما يكون عمره أربعة أشهر، ويتصاحب نفخ النفس في جسد هذا الجنين مع نفخ الروح، وتُقبض النفس أخر قبضة من جسد الإنسان عند الموت وتُقبض معها الروح، في حين أنه عند قبض النفس عند النوم تبقى الروح في الجسد ويبقى هذا الجسد حياً يسمع ويرى ويحس ما حوله ويقلب حاله يمنة ويسرة وقد يغطي جسده بغطاء النوم وقد يُكشفه وبحسب الحاجة. وأما الجسد فهو هذا البناء العظيم الذي أعطاك إياه عز وجل وبما يحتوي عليه من سمع وبصر ونطق وإدراك وقدرة على الحركة والإنتقال من مكان لآخر، فالجسد بيت النفس في الدنيا، وللإنسان جسد في الدنيا يختلف عن جسده في حياة البرزخ ويختلف عن جسده في الحياة الآخرة أي في الجنة أو النار، فلكل جسد صفات تتفق مع حال وجوده، ففي الدنيا الجسد إبتلاء لصاحبه أي للنفس، وفي الجنة ستكون أجسادنا بصورة تتفق مع ما في هذه الجنة من نعم، فسيكون الجسد على طول آدم عليه الصلاة والسلام ستين أو سبعين ذراع، وسيكون بجمال يوسف عليه الصلاة والسلام، وسيكون على عمر عيسى عليه الصلاة والسلام ثلاثة وثلاثين عام.

وأما الروح فهي من امر الله ولا نعلم عنها إلا القليل، الروح هي سبب الحياة، اينما حلت الروح حلت الحياة، وتحول التراب على جسد، ومن إينما إنسحبت الروح إنسحبت الحياة وتحول الجسد لنبتة أو لتراب.

التسوية والإلهام

والتسوية هي المساواة، فقد ساوى عز وجل بين الأنفس كلها عندما خلقها، بأن أعطاها جميعها نفس الإمكانيات في الإتباع، فليس لنفس فضل على أخرى، وليس لنفس حظ أكثر من غيرها في إتباع منهاج التقوى أو منهاج الفجور، فالانفس سواء ومتساوية لا

فضل لأحدها على أخرى في خلقتها وخلقها، فإن فضل عز وجل إنسان على آخر، أو قوم على آخر، أو حتى نبي على آخر يكون التفضيل هنا في الإمكانيات المادية مثل المأكل والمشرب والمسكن وصفات الجسد وقدراته، أما حظ النفس فواحد لجميع الأنفس التي خلقها عز وجل. والإلهام ليس هو الوحي كما يعتقد البعض، فالوحي هو للأنبياء والمرسلين، أما الإلهام فهو دل على الخير وحض عليه، وقد يكون البعث لهذا الحض من النفس وقد يكون من الملائكة الحافظين الذين قرنهم عز وجل لكل إنسان، وقد يكون من الجهتين معاً، فكما أن النفس أمارة بالسوء فهي لوامة، فمعنى أنها حضته على فعل الخير او حضته على ترك الشر فإن فعل ما يخالف الله لامته هذه النفس، وكون كلمة الإلهام جاءت بعد كلمة التسوية، نعلم أن حظ الإلهام للأنفس متساوٍ أيضاً.

هل الإنسان مسير أم مخير

أعتقد أن أفضل سبيل بوضع قاعدة أساسية تبقى نصب أعيننا ونحن نحاول أن نفهم هذه المصطلحات، ألا وهي كمال صفات الله عز وجل وبالأخص صفة (العدل)، فهو عز وجل لا يظلم الناس، وهناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تشير لهذا المعنى، منها قوله عز وجل (مَن عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت41: 46). فهو هو عز وجل يظهر أن نتيجة العمل الذي يقوم به الإنسان لنفسه إن خيرا فير وإن سوءا فسوء، ويضع لنا القاعدة للفهم أنه عز وجل ليس بظلام للعبيد، فأن فهم يوصلنا أن هناك ظلم وقع علينا منه عز وجل هو فهم خاطئ ولا شك، دعونا نسأل أنفسنا حول هذه الآية في قوله عز وجل (من عمل صالحا)، من الذي قام بالعمل؟ أهو الإنسان! أم الله! طبعاً من قال بأن الإنسان (مخير) قال أن الإنسان هو الذي قام

بالعمل، أما من قال بأن الإنسان (مجبر) فقد قال أن الله أجرى العمل على هذا الإنسان وأن الإنسان ليس له من الأمر من شيء، ولكلٍ منهما أدلته وبراهينه من الكتاب والسنة. فقد إعتمد (الجبرية) على ركن الإيمان (الإيمان بالقدر) وعلى مجموعة من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي تشير إلى أن الإنسان يعمل بشيء قد مضى عليه الكتاب، ففي الحديث الصحيح: (كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جنازَةٍ، فأخذَ شيئًا فجعلَ يَنْكُتُ بهِ الأرضَ، فقالَ: (ما منكمْ من أحدٍ، إلا وقدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ من النارِ ومقْعَدُهُ من الجنةِ). قالوا: يا رسولَ اللهِ، أفلا نَتَّكِلُ على كتَابِنَا ونَدَعُ العملَ؟ قالَ: (اعمَلوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لَما خُلِقَ لهُ، أمَّا من كانَ من أهلِ السعادةِ فَيُيَسَّرُ لعملِ أهلِ السعادَةِ، وأمَّا من كانَ من أهلِ الشقاءِ فَيُيَسَّرُ لعملِ أهلِ الشقاوَةِ. ثم قرأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}. الآية) (صحيح البخاري). في حين رأى من قال أن الإنسان (مخير) أن (جبر الإنسان على الفعل) فيه ظلم للإنسان، فكيف يعذبنا عز وجل على شيء قد كتبه علينا!؟ وبما أنه عز وجل قد نفى عن نفسه الظلم فإن من فهم من هذا الحديث أن الإنسان (مجبر) وليس (مخير) قد فهم الحديث بشكل خاطئ، وأنه لا بد حتى ننفي الظلم عنه سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان (مخير) إختار عمله بنفسه حتى يكون حساب الله له على هذا العمل عدلاً. والسؤال الآن من هو المصيب ومن هو المخطئ؟ هل الإنسان مخير أم أنه مسير؟ أم لعل الفريقين مصيبين أو لعلهما مخطئين؟! وكيف السبيل للتوفيق بينهما –فلكلٍ أدلته– دون أن ندعي على الله الظلم والعياذ بالله. والخلل برأيي أتى من أن كلا الفريقين نظر (للعمل) على أنه وحدة واحدة في حين أن (العمل) مركب من عدة أمور.

العمل مركب من (نية) و (مشيئة) و (نتيجة)

العمل مركب من:-

- (النية)، والنية هي ما وقر في القلب وشاهِده العمل أي النتيجة أي صـــدّقه العمـــل، وكلنا يعلم أن حساب الله سيكون بحسب نياتنا وليس على نتيجة العمل نفسه.
- (المشيئة)، والمشيئة لله، ولكنه أعطانا عز وجل من مشيئته أن نشاء ان نعمل مـــا نريـــد وأن نشاء ان نعبد ما نريد وأن نشاء ان نأكل ونتنعم بنعمه عز وجل.
- (نتيجة العمل)، والخلل الكبير هو أن معظم الناس إعتبروا (نتيجة العمـــل) أنهـــا هـــي (العمل) فحدثت الإختلافات وحدثت التناقضات وحدث الخلل في فهـــم كـــلام الله ورسوله.

أما النية فهي عمل القلب، وقد أعطانا عز وجل كل أمر النية، فالنية كلها للإنسان، فلنا أن ننوي في قلوبنا ما نشاء. وأما المشيئة فهي لله وحده وقد أعطانا عز وجل من هـــذه المشيئة (مشيئة العمل) و (مشيئة العبادة) و (مشيئة التنعم)، إلا أن مشيئة العبـــد تنطـــوي تحت مشيئة الرب، فلا يمكن للعبد أن يشاء أن يفعل او يعبد أو يتنعم بشيء منعه عنه عـــز وجل، ولكن إن توافقت مشيئة العبد مع مشيئة الله حدثت مشيئة العبد، وهـــذا يعـــني أن المشيئة لله وليس للعبد، وعدم توافق مشيئة العبد مع مشيئة الله أريد بها إختبار العبد ليقرر لمن المشيئة له أم لله، فإن اقر العبد ان المشيئة لله، وتوافقت مشيئته مع مشيئة الله وكانـــت النية سليمة تحصل العبد على ثواب فوق ثواب. وأما (نتيجة العمل) فهي قضـــاء الله وقدره كتبه في لوحة المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة، ولا يمكـــن للعبد أن يغير في هذا القضاء، ولله أن يستخدم العبد بحسب نيته ومشيئته لتنفيذ أمره عـــز وجل. وعليه فإن من قال أن الإنسان مجبر، كان ينظر لنتيجة العمل والتي هي قضـــاء الله

وقدره لا يمكن تغيره، ومن قال بان الإنسان مخير إنما نظر للنية، ومن إحتار بين هذا وهـــذا فقد نظر للمشيئة تارة على أنها نية وعلى أنها نتيجة أخرى. فالإنسان ينوي القيام بعمل ما، ويشاء فعله، فإن توافقت مشيئة الإنسان مع مشيئة الله فما كتب عـــز وجـــل في اللـــوح المحفوظ حصل العمل، وإلا حصل ما في اللوح المحفوظ وليس ما شـــاء الإنســـان فعلـــه. والعدل هنا كل العدل أن يكون حساب الله لنا على ما في قلوبنا من عمل والفضل كـــل الفضل أنه إذا توافقت نية العمل مع مشيئة الله في حدوثه كتب الله لنا عشـــرة اضـــعاف ثواب النية ولله الحمد، والفضل كل الفضل أنه عز وجل إن منعنا من القيام بسوء نويناه في قلوبنا لم يكتب علينا السيئة.

www.al-msjd-alaqsa.com

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم9
ص.ب: 51172، تلفاكس: 9726282173++ محمول:
+972523623683، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com